

## غراب وطفل (\*)

[ مهادة إلى أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات ]

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

نَسِبَ الْجَنَاحُ وَصَلَ فِي الْأَغْصَانِ      فَإِذَا الْغُرَابُ يَحْرُ لِلْأَذْقَانِ  
خَيْرَانَ بَلْتَنَسِ النَّجَاةَ فَلَا يَرَى      قَلْبًا يَرِقُ لِذَلِكَ الْخَيْرَانِ  
جَهْدَ الْأَسِيرِ لِكَيْ يَنْفِكَ جَنَاحَهُ      يَا خَلْفِي آوِنَةٌ وَبِالدَّوْرَانِ  
لَمْ يَفْنِ عَنْهُ كِفَاحُهُ فَأَتَارَهَا      شِعْوَاءَ تَسْمِعُ جَلْمَدَ الْأَذَانِ  
وَرَأَى غُرَابٌ صِينُوهُ فِي أُسْرِهِ      قَمَضَى وَأَسْرَعَ لِلْأَسِيرِ الْعَانِي  
وَهَوَى يُحَاوِلُ جَذْبَهُ... وَإِذَا بِهِ      هُوَ وَالْأَسِيرُ لِدَى الرَّدَى صِينُوَانِ  
أَعْيَاهُ إِنْ تَأَذُّ الرِّمِيلُ ، فَطَارَ فِي      فَرَعٍ يُنَادِي شَيْعَةَ الْغُرَبَانِ

(\*) انظر العدد ٤٧٢ من الرسالة

الجميل ، ولعل له مقطوعات من شعره لم نثر عليها بعد ؛ وقد تحقق الأيام من ذلك شيئاً فنعود إلى ذكر ما تركه هذا الشاعر الفحل والكاتب البليغ والمؤرخ الثقة

قال الثعالبي ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في الهنئة بشهر رمضان :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ووقاك<sup>(١)</sup> الإله ما تنقيه  
أنت في الناس مثل شهرك في الآ شهر بل مثل ليلة القدر فيه<sup>(٢)</sup>  
هذا وقد أورد ياقوت في معجم الأديباء أخباراً في ترجمته في نقد الشعر الذي ينسب به عضد الدولة البويهى بحضرته ومجالس أنسه وصحة قائليه وناظميه وذلك ما يدل على قوته في نظم الشعر وحفظه أيضاً لمنظومات الشعراء الذين سبقوه ، فكان خير حكم للتمييز بين الغث والسمين منه ؛ هذا علاوة على قوته في النثر ، فقد اتبع أسلوباً يكاد يكون خاصاً به لم يصل إلى مجاراته فيه أهل عصره هذا ما تيسر لي جمعه من الأخبار عن نابغة القرن الرابع الهجرى العباسى في القضاء والتأليف والشعر والأدب والاجتماع عسى أن أكون قد قبت بقسط مما يستحقه هذا العلم الفرد ، وستواصل بحول الله تعالى البحث عن غيره ممن كانت لهم الميزة العظمى في دولتي العلم والأدب لذلك المهد العباسى الزاهر .

( بنهاد )  
يوسف يعقوب مسكوني

(١) في ابن خلكان • كفاك • ج ١ ص ٦٤ ط • بولات

(٢) بيضة النمر لثعالي ج ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها

وَإِذَا غُرَابٌ ، ثُمَّ تَانٍ ، خَلْفَهُ  
وَتَجَمَّعَ الْغُرَبَانُ فِي الدَّرَجِ الَّذِي  
عَقَدَتْ عَصَائِبَهَا عَلَيْهِ مَنَاحَةٌ  
وَكَأَنَّمَا كَانَتْ تَصْرَعُ لِلوَرَى  
وَأَتَى بَنُو الْإِنْسَانِ فَاحْتَشَدُوا عَلَى  
وَتَجَمَّعُوا شَيْعًا لِكَيْ يَهْدُوا لَهُ  
وَإِذَا الْبَلَاهَةُ وَالْفُضُولُ تَجَمَّعَا

وَأَتَى الظَّلَامُ... وَتَفَى أَحْسَانُهُ  
وَاسْتَيْأَسَ الْغُرَبَانُ فَانصَرَ فَوَاطِلُ  
تَرَكَوْهُ لَهُ بَعْضَ الرِّفَاقِ تَرَفُهُ  
حَتَّى يَجِيءَ الصُّبْحُ فِي أَعْطَافِهِ  
يَا لَوَفَاءَ وَ لِلْإِخَاءِ نَرَاهَا

لَمْ تَقْرُغِ الْغُرَبَانُ مِنْ أَشْجَانِيَا  
وَإِذَا صُرَاخٌ مِنْ وَرِيدٍ قَدْ بَدَأَ  
يَا لَشَقَاءَ وَ لِلتَّعَاسَةِ... مُجْمَعًا :  
قَدَدَتْ بِهِ «الْأُمُّ الْخَنُونُ» جَرِيْمَةً  
وَتَسَلَّتْ طَى الظَّلَامِ ، وَلَمْ تَخْفَ

وَتَحَدَّثَ الرَّاهُونَ فِيمَا أَبْصَرُوا :  
سَمَرَتْ بِهِ أَنِّي ، فَصَاحَتْ — بَعْدَ مَا

جَسْتَهُ — صَيْحَةً رَحْمَةً وَحَنَانٍ :  
أَزْنِي وَتَقَلُّ يَا بَنِي الْإِنْسَانِ ۱؟  
تَبْقِي النَّجَاةَ ، وَمَا هَا كَفَانِ...  
وَالظَّفَلُ مُضْطَرَبٌ : يَدَا لِلسَّانِ  
فَكَأَنَّهُ مِنْ لَعْنَةِ الشَّيْطَانِ ۱  
وَيَعِيشُ فِي جَوْ مِنْ الْحَرَمَانِ ۱  
نَجَى الْغُرَابُ ، وَفَارَ بِالطَّيْرَانِ  
بِالْعَيْشِ فِي صَفْوَى وَفِي خِلَانِ...  
عَيْشَ الْهُوَانِ عَلَى مَدَى الْأَرْزَمَانِ

وَمَضَى اللَّيْطُ لِمَلْجَأٍ يَلْقَى بِهِ